تاريخ الاستلام: 2023/07/05م تاريخ القبول: 2023/07/20م تاريخ النشر: 2023/12/15م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية – تصدر عن أقسام الفلسفة بجامعة الزاوية
العدد الرابع عشر – السنة الخامسة – ديسمبر/ 2023م

طبيعة المونادات وقانون الانسجام والتناسق بينها عند ليبنتز

نعيمة المختار مصباح الحاج
قسم الفلسفة – كلية التربية بزوارة – جامعة الزاوية
الزاوية – ليبيا
EMAIL: alhag1981@gmail.com

ملخَّص البحث:

يعد ليبنتز أحد الفلاسفة البارزين في العصر الحديث، الذين كان لهم دور كبير في تطور الفكر الغربي، وأحد الأعلام المرموقين في المدرسة الديكارتية، وله جهود واضحة امتدت إلى ميادين السياسة والتاريخ والقانون واللغة واللاهوت وغيرها. وينظر إليه باعتباره من كبار واضعي الأنظمة الفلسفية، ومن مؤسسي الفلسفة الحديثة في القرن السابع عشر، حيث تأثر بفلسفة أرسطو وديكارت وجمع بينهما.

يهدف البحث إلى دراسة أهم الأفكار في فلسفة ليبنتز، التي تتركز في فكرة المونادات التي توضع دائمًا في الفلسفة القديمة، مقابل الثنائية أو التعددية، وبعد ذلك أخذت معني فرد أو جوهر أفراد، كما أخذت معنى الذرة عند الذريين، والنقطة الرياضية عند الرياضيين، والنقطة الفيزيقية عند الطبيعيين. ولذلك فقد استعان الباحث بالمنهج التحليلي؛ ليتمكَّن من توضيح المونادات وأنواعها والمقصود من الانسجام والتناسق بينها.

وقد توصَّلت الباحثة إلى أنَّ ليبنتز يختلف اختلافًا كبيرًا عن أصحاب المذهب الذري القديم، الذين نادوا بمذهب الكثرة المادي، كما أنَّ المونادات لا تتفاعل فيما بينها، ولا مع العالم الخارجي، ولا تؤثر في بعضها البعض، لأنَّها مغلقة على نفسها، فمونادات ليبنتز تؤلف مرايا أو تعبير عن الكون الواحد، ولكنَّ الفارق بينها يكمن في تفاوت ووضوح التعبير، ولكن من الضروري التسليم بوجود كثره لا متناهية من المونادات الروحية.

كلمات مفتاحية:
المونادات . اللامتميزات ـ التناسق والانسجام . الأنتلخيا

The nature of monads and the law of harmony and harmony between them according to Leibniz

Naima Al-Mukhtar Misbah Al-Hajj

Department of Philosophy/Faculty of Education in Zuwara/Zawia University

Azzawia -Libya
EMAIL: alhag1981@gmail.com

ABSTRACT

Leibniz is considered one of the prominent philosophers of the modern era who played a major role in the development of Western thought, and one of the most prominent figures in the Cartesian school, and his clear efforts extended to the fields of politics, history, law, language, theology, and others. He is considered one of the major authors of philosophical systems and one of the founders of modern philosophy in the seventeenth century, as he was influenced by the philosophy of Aristotle and Descartes and combined them.

The research aims to study the most important ideas in Leibniz's philosophy, which are centered in the idea of monads, which in ancient philosophy were always placed in opposition to dualism or pluralism, and after that they took on the meaning of an individual or the essence of individuals, just as they took on the meaning of the atom among the atomists, the mathematical point among the mathematicians, and the physical point among the naturalists. Therefore, the researcher used the analytical approach to be able to clarify the monads, their types, and what is meant by harmony and coordination between them.

The researcher concluded that Leibniz differs greatly from the ancient atomists who called for the doctrine of material multiplicity, and that monads do not interact with each other or with the outside world, and do not affect each other, because they are closed in on themselves. Leibniz's monads form mirrors or mirrors. An expression of the one universe, but the difference between them lies in the

difference and clarity of the expression, but it is necessary to acknowledge the existence of an infinite number of spiritual monads.

Keywords:
Monads - indistinctions - symmetry and harmony - antelkhia

مقدمة:

يعد ليبنتز من فلاسفة العصر الحديث الذين لعبوا دورًا كبيرًا في تاريخ الفكر الأوربي، فاحتل مكانةً مرموقةً في تاريخ الفلسفة* ، فليس هناك من يشك في قيمته الفلسفية، أو يتردَّد في وضعه بين كبار الفلاسفة، فجهوده لم تقتصر على الفلسفة فقط، بل امتدت إلى ميادين السياسة والتاريخ والقانون واللغة واللاهوت وغيرها.

وينظر إليه في تاريخ الفلسفة بأنَّه من كبار واضعي الأنظمة الفلسفية، ومن مؤسسي الفلسفة الحديثة في القرن السابع عشر، وتأثر ليبنتز بفلسفة أرسطو وديكارت، فجمع بينهما في فلسفة تؤمن بمقدرة العقل، وبوجود قوه وديناميةDynami في الكون، فعبّر عن فلسفته بمذهب يتصف بصفات العقلانية والروحية، متدرجًا في صف الفكر الديكارتي.

فالوجود في رأيه يتكوَّن من جواهر أو وحدات قوة أسماها المونادات**Monadas**، وهي أول ما يقابلنا ونحن نقوم بدراسة فلسفة ليبنتز، بل من أهم الأفكار في فلسفته، والأساس الذي تقوم عليه.

فكانت هذه المونادات توضع دائمًا في الفلسفة القديمة مقابل الثنائية أو التعددية، وبعد ذلك أخذت معنى فرد أو جوهر أفراد، كما أخذت معنى الذرة **Atom** عند الذريين، والنقطة الرياضية عند الرياضيين، والنقطة الفيزيقية عند الطبيعيين.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في التعرُّف على رؤية ليبنتز لطبيعة المونادات وأنواعها، وكيف تستطيع أنْ تنسجم مع بعضها البعض من خلال قانون الانسجام والتناسق الأزلي، وبيان كيف دلَّل على عدم تشابهها في الطبيعة، مع أنَّ لكل منها مرآة تعكس العالم من وجهة نظرها الخاصة، مع توضيح أوجه الاختلاف بين ذرات المذهب القديم التي يقول بها ديمقريطس وأتباعه، وبين ذرات أو المونادات التي قال بها ليبنتز، مع أنَّ كلّاً منهما قال بأنَّ الكون مؤلف من ذرات، إلا أنَّهم اختلفوا في نوعية تلك الذرات.

مشكلة البحث:

المشكلة الأساسية التي يدور حولها البحث هي معرفة ما يعنيه ليبنتز بالمونادات وأنواعها، وهل المونادات عنده واحدة؟ أم كثرة من المونادات، وهل كلها من نوع واحد؟ أم أنَّ المونادات أنواع مختلفة؟ وهل تتصف بكل خصائص المادة؟ وما تشتمل عليه من صفات مثل الحجم والقابلية للانقسام والتغير، أم أنَّها عقلية وروحية لا شكل لها ولا حجم ولا امتداد؟ **با**لإضافة إلى المقصود من الانسجام والتناسق بينها.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدت الباحثة على المنهج التحليلي لإلقاء الضوء على أهم أفكار ليبنتز، وبناء على ما تقدم فقد قُسم البحث إلى النقاط الآتية:

أولاً- حياته:

ولد جوتفريد وليم ليبنتز في الثالث من شهر يوليو سنة 1646م في مدينة ليبزج بألمانيا، من أسرة اشتهر الكثير من أفرادها بالميول العقلية، فكان والده أستاذًا للقانون والأخلاق في جامعة ليبزج، أمَّا أمه فكانت ابنة لأُستاذ في الحقوق، وكانت ذات ثقافة عالية، وحرصت على أنْ تُنشئه تَنشئةً بروتستانتية محافظة، حيث توفي والده وهو في السادسة من عمره، وترك له مكتبةً مليئةً بكتب القدماء والمحدثين، ساعدته على اتساع أفقه مبكرًا.[1]

ولكنه أظهر نبوغه المبكر منذ طفولته، فلم يكد يتم الثمانية من عمره حتى علَّم نفسه اللغة اللاتينية، ومن دون معلم، وذلك راجع إلى مكتبة أبيه الضخمة التي أتاحت له من الإلمام وتعرُّف اللغات القديمة.[2]

فعندما التحق بالجامعة لم يكن قد بلغ الخامسة عشرة من عمره، حيث تتلمذ على يد الأستاذ: يعقوب توماسيوس، وتأثر به وقدَّم بإشرافه بحثًا نال به درجة البكالوريوس، ثم ذهب إلى جامعة ينا yena ودرس التاريخ والرياضيات، فقرَّر أنْ يصبح محاميًا فقدَّم أطروحة في الحقوق لجامعة ليبزج لينال درجة الدكتوراه، ولكن الجامعة لم تمنحه ذلك لحداثة سنه، ولكن وافقت جامعة اتدروفAitdorf ومنحته درجة الدكتوراه، وعرضت عليه وظيفة أستاذ. [3]

وبعد ذلك أسَّس أكاديمية علمية في برلين، وانتخب رئيسًا لها مدى الحياة في عام 1700م، وقام في هذه الفترة بنشر كتابه الفلسفي "الحكمة الإلهية". [4]

ثانياً – أهم مؤلفات ليبنتز:

قام ليبنتز بكتابة العديد من المؤلفات نذكر منها:

1- اعتراف الطبيعة ضد الملحدين **1670**.
2-تأملات في المعرفة الحقيقية والمعاني **1684**.
3- مقالة في ما وراء الطبيعة أو الميتافيزيقا **1686**.
4- مذهب جديد في الطبيعة واتصال الجواهر **1695**.
5- محاولة جديدة في الفهم الإنساني **1701**- **1759**
6- محاولات في العدالة الإلهية **1710**.
7- المونادولوجيا **1714**.[5]

ثالثاً - طبيعة المونادات:

إنَّ كلمة المونـاد التي استعملها ليبنتز في الفلسفة لم تكن من إبداعاته، وإنَّما يرجع أصلها إلى اللفظ اليوناني، فهي مشتقة من الكلمة اليونانية موناس أو مونادس، ومعناها الوحدة، وأطلقه أفلاطون على المثال، واستعملها جيوردانو برونوليدل بها على العناصر المادية والروحية البسيطة، والتي يتكون منها العالم .[6] أي أنَّ ليبنتز أخذ من جيوردانو برونو لفظ المونـاد ويقصد به "جوهر بسيط حاصل على التلقائية، فلا يفعل بتحرك محرك مغاير وتغيراته كلها من باطن، وحاصل على النزوع والإدراك" .[7]

فاستخدم ليبنتز لفظ المونـاد لأول مرة عام 1697م وكان يستخدم قبل ذلك الألفاظ الآتية للدلالة على الشيء نفسه وهى: جوهر، صور جوهرية، وحدات حقيقية، ذرات جوهرية، ونقط ميتافيزيقية، ثم استخدمه بطريقة مغايرة، وأضفى عليه معانٍ جديدة، فيعرِّفه بقوله: "المونـاد الذي سنتكلم عنه ليس شيئًا آخر سوى جوهر بسيط يدخل في المركبات، والبسيط يعني ما هو بدون أجزاء، هي الذرات الحقيقية في الطبيعة، وعناصر الأشياء".[8]

وهذه المونـادات أو الذرات التي يقصدها ليبنتز ليست ذرات مادية، بل هي ذرات روحية، تختلف عن تلك الذرات التي قال بها أصحاب المذهب الذري القديم، أمثال ديمقريطسوأبيقور الذين حاولوا تفسير العالم، أو الوجود تفسيرًا ماديًا، فلم يوافق ليبنتز على ذلك، وإنَّما اتجه إلى تفسيره تفسيرًا روحيًا، لأنَّه لو كانت ممتدة كما يقول أصحابها لكانت قابلة للقسمة إلى ما لا نهاية، وإذا لم تكن ممتدة لم تعد أصغر جزء ممكن الاعتماد عليه في بناء الوجود، لذلك فالذرات المادية تعجز عن نقل الحركة، لأنَّ الحركة مغايرة في طبيعتها للمادة، فجوهر أو ذرات ليبنتز تختلف عن تلك الذرات التي قال بها أصحاب المذهب الذري أمثال ديمقريطس الذي يرى أنَّ الذرات هي ذرات صغيرة ودقيقة للغاية، يتعذر رؤيتها على

انفراد نظراً لدقة حجمها، وهي متحركة قديمة أزلية بسيطة، وحركتها ذاتية، ويفصل هذه الذرات بعضها عن البعض الآخر فجوات من الخلاء، وكل ذرة غير قابلة للانقسام في الواقع، وهي متشابهة بالطبيعة.[9]

ويُعرِّف ليبنتز المونادات أيضًا بأنَّها جواهر في غاية البساطة، وتلك البساطة تعني عدم وجود أجزاء، ومن ثم فهذه المونادات هي الوحدات القصوى للعالم، وبما أنَّها بسيطة فهي لا تقبل التحليل إلى ما هو أبسط منها[10]، فهو عنده كائن قادر على الفعل، وهو مع أنَّه بسيط فأنَّه يمكن أنْ يكون مركَّبًا، فالمركب هو تجميع الجواهر البسيطة، والتي يسميها المونادات، وهذه المركَّبات هي جواهر بسيطة وكثيرة، ووجودها يلزم وجود الجواهر البسيطة، إذ لا وجود للجواهر المركَّبة دون أنْ يكون هناك جواهر بسيطة، فيترتب على ذلك أنْ يكون الوجود عامرًا وزاخرًا بالحياة، فيقول ليبنتز في ذلك: "يجب أنْ يكون هناك جواهر بسيطة مادامت هناك جواهر مركَّبة، إذ ليس المركَّب إلا مجموعة مؤلفة من البسائط".[11]، أي بمعنى أنَّه يوجد عدد لا متناه من الموجودات التي تسير في طريق تطورها الخاص بها، بحيث تكون كل منها مستقلة عن الأخرى، وما دامت هي مستقلة عن بعضها البعض، وليس هناك أي علاقه بينها فإنَّ ما يحصل في إحداها ينعكس في الموناد الآخر، فهذه المونادات بحسب رأي ليبنتز لا يمكن أنْ تنتهي طبيعيًا، كما لا يمكن أنْ تبدأ في الوجود طبيعيًا أيضًا، فهي تبدأ بالخلق وتنتهي بالإبادة، أي: أنَّها ابتدأت مع العالم وتنتهي بانتهائه، ويرجع انعدامها وخلقها إلى الله، أمَّا ما هو مركَّب فأنَّه يبدأ بالأجزاء، وينتهي بانحلال تلك الأجزاء، أو بتغيراتها فهو كما يرى "بأنَّها تأتي إلى الوجود دفعةً واحدةً، وتتوقَّف عن الوجود دفعةً واحدةً أيضًا"[12].

ويؤكد ليبنتز ذلك بقوله: "لا يخشى أنْ تنحل الجواهر البسيطة، ولا يمكن أنْ نتصوَّر كيف أنَّ جوهرًا بسيطًا يمكن أنْ يموت موتًا طبيعيًا، كما وأنَّه لا يمكننا أنْ نتصور كيف يمكن لجوهر بسيط أنْ يبدأ بداية طبيعية، ولا يمكننا كذلك أنْ نعلِّل كيف يمكن للمونادات أنْ تتبدَّل وتتغير في داخله بفعل مخلوق آخر؛ لأنَّه لا يمكن أنْ يدخل أي شيء فيها" .[13]؛ لأنَّها متفردة بذاتها، ومستقلة عن بعضها، وتطور نفسها تبعًا لقوانين خاصة بها، ولا تعتمد إلا على نفسها في نموها، أي أنَّها تقوم بذاتها ولذاتها، وليس بين بعضها البعض أي ترابط، لأنَّها مغلقة على نفسها، فلا يمكن معرفة التغيرات التي تحدث لها من الداخل، ولا

يستطيع أي مخلوق أنْ يدخل إليها، ولا يمكن أنْ نتصوَّر أيَّة حركة داخلها " إذ ليس للمونادات نوافذ يمكن من خلالها أنْ يدخل إليها الشيء أو يخرج منها".[14]

ولما كانت المونادات مستقلةً عن بعضها البعض، ومغلقة على نفسها، فإنَّنا نجدها في هذه الحالة لا تؤثر في بعضها البعض، أي: أنَّ جميع المونادات تصور في نفسها شيئًا واحدًا هو الكون.

ولكن بمعرفة المونادات لذاتها نستطيع أنْ نعرف الكون، ولكن هذه المعرفة تكون غير متشابهة في جميع المونادات، لأنَّها تختلف من مونادٍ إلى آخر، فكل واحد منها يدرك الكون بحسب وجهة نظرها المختلفة التي تمتلكها عن الكون، فيوضح ليبنتز هذا بقوله: "إنَّ المونادات عبارة عن مرآة حية دائمة للعالم، تعكس الكون من وجهة نظرها الخاصة"[15].

ولكي يقرِّب ليبنتز هذا القول إلى الإفهام فأنَّه يضرب مثالًا يوضِّح فيه هذه الحقيقة فيقول: "إنَّ المدينة الواحدة قد تُرى من خلال وجهات نظر متعدِّدة، فكل منها تختلف عن الأخرى، مع أنَّها كلها تمثل المدينة الواحدة وبصورةٍ صحيحة".[16] فمونادات ليبنتز تختلف من مونادٍ إلى آخر، أي: أنَّها ليست متشابهة، بل هي مختلفة، وهذا الاختلاف يجب أنْ يكون في جميع النواحي، وإلا فلن يكون تفسير التغيرات التي تحدث في الكون ممكنًا، لهذا ينبغي أنْ تتصف المونادات ببعض الكيفيات، وإلا انعدمت الموجودات، ولو كانت الجواهر البسيطة لا تختلف مطلقًا في كيفياتها لما أمكن حصول أي تغير في الأشياء، لأنَّ كل ما في المركب لا يمكن أنْ يأتي إلا من مكوِّناته البسيطة، ولو كانت المونادات خالية من الكيفيات لكانت غير متمايزة الواحدة عن الأخرى[17].

وعلى ذلك فيمكننا أنْ نميز موناد من غيره بالكيفيات الداخلية، والتي ليست إلا إدراكاته، وهذه الكيفيات لا يقصد بها ليبنتز صفات حسية أو مظهرها الخارجي، وإنَّما هي خاصية نشاطه الداخلي، فالتغيرات والتطورات التي تحدث للمونادات ليست نتيجة مبدأ خارجي عن الموناد، وإنَّما هي في صميم الموناد نفسه.

فهو يرى بأنَّه من الضروري أنْ يختلف كل موناد عن غيره من المونادات لأنَّه لا يمكن أنْ يوجد في هذا العالم مونادان يتشابهان تمامًا، فيؤكد ليبنتز هذا الرأي من خلال مبدأ اللامتميزات إذ يقول عنه: "لا يوجد في الطبيعة كائنان متشابهان تمام التشابه حيث يستحيل وجود فرق داخلي، أو فرق قائم على الصفات الداخلية"[18].

وهذا يعني أنَّه من المستحيل وجود عدَّة أشياء متشابهة تشابها كاملًا، وإلا لن يكون لدينا في هذه الحالة عدَّة أشياء بل نفس الشيء، وهذا الاختلاف ليس في الأنواع فقط، وإنَّما هو في الأفراد أيضًا.

لهذا يشبه ليبنتز المونادات بالمتسلسلة اللامتناهية أشبه بالمتسلسلة العددية التي يكون فيها كل عدد مختلف عن العدد الآخر، أي لا يمكن أنْ يتشابه فيها عددان، فمثلًا العدد **(4)** هو العدد الذي يوجد بين **(3)** و**(5)** فهو يختلف عنهما، لأنَّه لا يوجد لعددين متشابهين أو متطابقين من كل النواحي، لهذا يرى بأنَّه "لا يمكن أنْ يوجد مونادان متشابهان، بل أنَّ كل موناد يختلف عن الآخر، اختلاف كل عدد عن الآخر في المتسلسلة العددية الطبيعية "[19].

فمن هنا يتضح أنَّ الاختلافات التي تكون بين المونادات، إنَّما تكون من الناحية الكيفية وليست من الناحية الكمية؛ لأنَّ المونادات ليس لها حجم وليس لها شكل، ولا تشغل حيزًا، وإنَّما هي جواهر روحية بسيطة لا أجزاء لها، فهي فعَّالة بذاتها لا تؤثر ولا تتأثر، وقد رفض ليبنتز أنْ تكون هذه الذرات متجانسة الطبيعة كما قال ديمقريطس، ولا تختلف عن بعضها البعض إلا في الحجم والشكل، بل ينبغي أنْ تتباين في نواحٍ متعددةٍ، وإلا لما تباينت الموجودات فيما بينها، لأنَّ ما يميز بينها هو عدم تشابهها واختلافها، فمن دون هذا الاختلاف لا يمكن أنْ تصبح ذرات أو كائنات روحية، والكيفيات التي تميزها من بعضها البعض هي كيفيات ضرورية في نظر ليبنتز.

وهذا ما أكده ليبنتز من خلال مبدأ ذاتية اللامتميزات الذي طبقه للتميز بين المونادات، لأنَّه عدّ الاختلاف بينها ضروريًا؛ لأنَّ الأشياء لا يمكن أنْ توجد كوحدات منفصلة، بل هي متصلة من خلال مبدأ الاتصال، وإنْ كانت هذه المونادات مختلفة فاختلافها في الكيفيات، وهذا ما أكده ليبنتز في جميع نواحي فلسفته، ففي خطاب إلى كلارك يقول: "قال صديق لي أثناء محادثتي له في الحديقة وبحضور الأميرة صوفيا البروسية أنَّه متأكد من استطاعته الحصول على ورقتي شجرة متشابهتين تمام التشابه، فتحدته الأميرة أنْ يجدهما فأسرع في البحث عنهما وقتًا طويلًا، ولكن بدون جدوى"[20].

وقياسًا على هذا فإنَّ ما يميز المونادات فيما بينها هو عدم تشابهها، وإنَّما هي مختلفة لأنَّها من دون هذا الاختلاف لا يمكنها أنْ تصبح كائنات روحية، لأنَّ الكيفيات التي تميزها عن بعضها هي كيفيات ضرورية بحسب رأي ليبنتز؛ لأنَّه يُعد المونادات كلها

مخلوقة، ولا يوجد بينها أي تفاعل، على الرغم من أنَّها تبدو لنا متفاعلة فيما بينها، وسبب ذلك هو أنَّها مغلقة على نفسها، وليس لها نوافذ تؤثر بها أو تتأثر منها، لهذا نجد إدراك كل منها مختلف عن الآخر، من حيث الوضوح واليقين والتميز، وذلك راجع إلى أنَّ كل منها يعبِّر عن العالم من منظوره الخاص بها.

ومن هنا نستطيع أنْ نفهم رأى ليبنتز في أنَّ المونادات عالم مغلق على نفسه ولا نوافذ له.

رابعاً– أنواع المونادات:

ما دامت المونادات تختلف بعضها عن البعض، وتستقل عن بعضها أيضًا، فعلى هذا الأساس قسم ليبنتز المونادات إلى مونادات مخلوقة، ومونـاد خالق، فالمونادات المخلوقة تختلف عن بعضها بحسب درجة إدراكها، وليس بحسب طبيعتها. فهي تنقسم بحسب رأيه إلى ثلاثة أقسام، وهي كالآتي:

1–المونادات العارية عن الشعور:

هي أقل المونادات درجة، فهي مونادات العالم غير العضوي، وهي تشير إلى الكائنات الحية، كائنة ما كانت، أي أنَّ هذا النوع من المونادات يكون كاملًا بذاته في تمثيل العالم، وكامل بذاته ككائن حي، إلا أنَّ إدراكاتها تكون غير واضحة وغير يقينية وغامضة وخالية من التذكر والاستدلال، وإنَّما تكون إدراكاتها بسيطة ومضطربة ومختلطة، ولا تشعر بالإدراكات التي تقع عليها، أي أنَّها لا تبحث عن أسبابها فيقول عنها ليبنتز: "بأنَّها تحتوي على كمال معيَّن، وأنَّها تحتوي على نوع من الاكتفاء الذاتي يجعلها مصدر أفعالها الداخلية". (21)

فهذا النوع من المونادات يمر بحالتين تصبح فيها المونادات غير واعية بالإدراكات التي تقع عليها، وفى نفس الوقت لا تعقلها، ولا تشعر بها، وكما لا تتذكَّر معها أي شيء، ولا يكون في أثنائها أي إدراك متميز.(22)

وهذا النوع من المونادات يطلق عليها ليبنتز (الأنتلخيات *Entelechies) ويعني به البسائط الحية، وهي تشير إلى كل كائن لا يشعر ولا يعي ولا يتعقل إدراكاته، أي أنَّها تتمتع بإدراكات بسيطة بدون أي وعي أو شعور، ولكن يكون مع ذلك مكتملًا بذاته، وحاصلًا على الحياة، ويمكن أنْ نسميه بالنفس النباتية .(23)

2- المونادات الحاصلة على الشعور أو المونادات النائمة:

وهي أعظم من المونادات الأولى، ووضعها ليبنتز في الدرجة الوسطى بين أنواع المونادات، وأسماها النفس الحيوانية، ويكون إدراكها أكثر نضجًا ووضوحًا، وتكون حاصلة على اكتفاء ذاتي خاص، وحاصلة على قوة ونشاط، ويكون تمثيلها للعالم أكثر تحديدًا وتميزًا عن المونادات الأولى، لأنَّها تكون مصحوبة بالذاكرة، ولكن إدراكاتها لا تتصف بصفة التعقلية لأنَّها كما يرى ليبنتز "بأنَّ هذا النوع من المونادات تحس وتشعر بإدراكاتها ولكنَّها لا تتعقَّلها"[24].

3- المونادات الشاعرة بذاتها:

ويطلق عليها ليبنتز أيضًا النفس العاقلة أو الروح، وهي أرقى وأعظم أنواع المونادات؛ لأنَّها تكون مصحوبة علاوة على الذاكرة بالعقل، وتمتلكه في نفس الوقت، ويكون إدراكها واضحًا ومتميزًا ويقينًا، وتعي ذواتها الخاصة، وتشعر وتتعقَّل إدراكها وتقوم بالتفكير والاستدلال فيه، فتستطيع أنْ تفكر في تصورات مثل الوجود، الجوهر، واللامادي، والله، فلهذا يطلقها ليبنتز على الإنسان والعقول العليا [25].

وهذا النوع من المونادات العاقلة تتميز عن غيرها من المونادات، وذلك راجع إلى الوعي والشعور بإدراكها، على اعتبار أنَّ هناك حقائق ضرورية موجودة يعرفها العقل، وهى تحتاج إلى الشعور والوعي بالذات لإدراكها، لهذا يجعلها تختلف عن غيرها من المونادات الأخرى.

هذه هي أنواع المونادات التي قسَّمها ليبنتز بحسب رأيه إلى ثلاثة أنواع: أقلها مرتبة ويسميها انتلخيا، وهي لا تشعر بالإدراكات ولا تتعقَّلها، أمَّا النوع الثاني فيسميه الحيوانية، وهي تشعر بإدراكاتها، ولكنَّها لا تتعقَّلها، أمَّا النوع الثالث من المونادات، ويطلق عليه النفس العاقلة أو الروح، وهي تشعر بإدراكاتها وتتعقَّلها في الوقت نفسه، فهي تختلف عنهم من حيث القوة والقدرة على الإدراك، لهذا جعلها ليبنتز في أعلى مرتبة وأرقاها، وهذه المونادات لا يكون بينها أي اختلاف جوهري، وإنَّما الاختلاف راجع إلى مدى وضوح وتميز ويقين إدراكاتها وأفكارها.

ويتضح لنا أنَّ هذه المونادات التي قال بها ليبنتز تتشابه جميعها في الآتي:

1- كونها بسيطة ونهائية ومن دون أجزاء وغير منقسمة، وأنَّها كلها لا تشكِّل بالتركيب، ولا يخشى انحلالها.

2- إنَّها كلها طاقة وقوة ومبدأ فعل.

3- إنَّ طبيعتها قائمة على فعل مبدأ داخلي هو الإدراك، وهو واحد في طريقته لكنَّها تختلف فيما بينها إذا كانت مسيطرة، منظمة، أو خاضعة، وليس فيها مبدأ للتنظيم[26].

وإلى جانب هذه المونادات التي سبق ذكرها عند ليبنتز هناك موناد آخر، وهو المونـاد الخالق والكامل والمطلق، أي موناد المونادات، أو الموناد الأعظم، والذي تعتمد عليه جميع المونادات المخلوقة الأخرى، وهو **(الله)** والذي يعرّفه ليبنتز "بأنَّه الجوهر الأول المتضمن على أعلى درجة من الكمالات، وهو المالك والحاصل على القدرة والعلم"[27].

فالمونادات عند ليبنتز شبيه بالأنوار عند الغزالي الذي ذهب إلى القول "بأنَّ الوجود مشحون بالأنوار وهذه الأنوار تشمل الحياة الحيوانية والنباتية وجواهر الملائكة، وهي تستند في وجودها إلى حقيقة الحقائق (نور الأنوار)، وهى تعبير ليبنتز موناد المونادات"[28].

خامساً: صفات المونادات:

يتبين لنا من خلال ما أشرنا إليه عن هذه المونادات عند ليبنتز بأنَّها مونادات مخلوقة ومحدودة صادرة عن موناد المونادات أو الموناد الأعظم، وهذه المونادات تتصف ببعض الصفات أهمها:

1- إن المونادات هي جواهر بسيطة غير مادية وغير ممتدة.

2- صفاتها أو طبيعتها هي القوة والحيوية والنشاط.

3- الامتداد ليس صفة أو ماهية المونادات.

4- إنَّها عاقلة روحية مدركة، وإنْ اختلفت في درجة الإدراك.

5- ليس لها أجزاء وغير قابلة للتجزئة أو التقسيم.

6- ليست متفاعلة ولا تؤثر ولا تتأثر بعضها ببعض، إنَّها مغلقة على ذاتها وليس لها نوافذ.

7- إنَّها تنسجم وتتناسق بسبب قانون التناسق العام الصادر عن الموناد الأعظم أو مناد المونادات (الله)[29].

سادساً: قانون الانسجام والتناسق بين المونادات:

إذا كانت المونادات أو الجواهر الروحية بسيطة، ولا أجزاء لها، فيعني هذا أنَّه لا وجود لعلاقة تربط بينها، وليست متفاعلة فيما بينها، إذ لا تؤثر ولا تتأثر الواحدة منها

بالأخرى، وأنَّ كل منها مستقل عن الآخر، كما عبّر عنها ليبنتز بأنَّها مغلقة على ذاتها وليس لها نوافد.

ومادام أنَّ ليبنتز ينكر وجود تفاعل بين الأشياء، فما تفسير التغير والتطور الذي يحدث في العالم؟ فبحسب رأيه بأنَّ ما يحدث فهو نتيجة الانسجام والتناسق الأزلي الذي مفاده "بأنَّ المونادات تتناسق وتنسجم بفضل وجود القانون العام للتناسق والانسجام الذي أوجده موناد المونادات عندما خلق المونادات المخلوقة والمحدودة والمتناهية"(30).

فالمونادات في رأيه "تعمل جميعًا في وحدة وتوافق بغرض تحقيق غاية الوجود أو صورة الكمال في العالم، وهي الصورة التي يسعى إلى تحقيقها بفعل التفاعل والتنظيم بين المونادات بعضها البعض، وهذا التوافق لا يمكن تفسيره إلا بافتراض وجود خالق منسق هو الله الذي هو أعلى المونادات وأعظمها"(31). لأنَّ الله عندما خلق هذه المونادات خلقها بطريقة تجعلها تتكيف بعضها مع البعض الآخر، بحيث نجد أنَّ كل موناد فيها يتضمَّن سائر المونادات الأخرى في الوجود، أي أنَّ الله بإرادته وبحكمته قد وجد مونادات تستجيب إحساساتها في كل لحظة مع بعضها البعض، فيضرب لنا ليبنتز مثالًا يوضح فيه هذا التوافق المستمر قائلًا: "بساعتين تم صنعهما في دقة تامة يستحيل معهما الخطأ، بحيث تشيران إلى وقت واحد دون أنْ يكون لإحداهما علاقة بالأخرى، ودون أنْ تؤثر إحداهما في الأخرى"(32).

ومن خلال هذا المثال يوضح ليبنتز بأنَّ الله قد خلق المونادات بحيث ما يحصل في إحداهما من تطورات يناظر ما يحصل للمونادات الأخرى، دون أنْ تكون بينها أي علاقة، فكل موناد يصور ما يحدث في المونادات الأخرى دون وجود تفاعل بينها، فيقول ليبنتز في ذلك: "إنَّ الله يخلق جواهر مختلفة بحسب زوايا النظر المختلفة التي لديه عن العالم، ويتدخَّل فيجعل كل جوهر من شأنه أنْ يحدث فيه يناظر ما يحدث للجواهر الأخرى، ولكن من دون أنْ يؤثر أحدهم في الآخر"(33).

بمعنى أنَّ الله وضع نظامًا لكل موناد بحيث تبدو لنا متناسقة مع بعضها، ولا يمكن أنْ نتصور أي تعارض بينها، لأنَّ الخالق هو الذي فرض هذا النظام في الكون، فبهذه الوسيلة نحصل على أكبر قدر ممكن من التنوُّع، ولكن مع أعظم قدر ممكن من النظام، أي أنَّنا نحصل بهذه الوسيلة على أعظم قدر ممكن من الكمال.

لهذا يؤكد ليبنتز أنَّ الله حينما خلق العالم بصورته الحالية إنَّما خلق أفضل عالم ممكن، واختار هذا العالم من بين جميع العوالم الممكنة ليكون دليل على عظمته وقدرته، ومن البديهي أنْ يكون الله قد اهتم بهذا العالم، وزوَّده منذ البدء بكل ما يلزمه من نظام وانسجام، وليحفظ استمراره ويكون مسئولًا بتحقيق كل ما يتضمَّنه من علاقات، وعلى ذلك "فمن دلائل عظمة الله أنْ يشمل هذا العالم ظواهر محكمة البناء، ووحدات عنصرية حقيقية وبسيطة"(34).

وهذه الوحدات العنصرية الحقيقية أو المونادات تنمو تبع قوانينه الخاصة، وكأنَّه عالم مستقل، ولا يوجد بجانبه سوى الله، فوحدة العالم تحصل على الاتفاق والتقابل في الإدراكات التي يتمتَّع بها كل موناد؛ لأنَّ الله أقام نظامًا وانسجامًا بين المونادات المختلفة من أجل أنْ يضمن وحدة العالم واتساقه. حيث يشير ليبنتز إلى ذلك بقوله: "أنَّه لا شيء في هذا العالم يُبابِ أوعقيم ولاميت، وليس فيه فوضى ولا اضطراب، إلا في الظاهر، ويشبه ذلك بمنظر بركة نتأملها من بعيد، فلا نكاد نرى فيها إلا حركة مضطربة وحشدًا مختلطًا من الأسماك، دون أنْ نميز الأسماك ذاتها"(35).

فالحقيقة أنَّ العالم ليس به أي فوضى أو اختلاط، وإنَّما كل شيء منظَّم ومتناسق، فكل ما يحدث إنَّما يحدث تدريجيًا، وبفضل مبدأ الاتصال،لأنَّ عالم ليبنتز عالم حي، والطبيعة عنده منظَّمة ومنسجمة ومتوافقة، وتتمتع بالحيوية والنشاط، وليس هناك في عالم الحقيقة ما ندعوه بالجزء والكل، وإنَّما جميعها تنتج عن هذا التوافق والانسجام. لأنَّ الله عندما خلق الكون وضع فيه منذ البداية وحدات عنصرية، هذه الوحدات قد رتبها بطريقه تجعل كل واحدة منها تبسط سعيها، كما لو كانت وحدها في هذا العالم، ومع ذلك يأتي تفاعلها وسلوكها منسَّقًا في كل لحظة مع سلوك الآخرين، فهذا الاتساق والاتفاق الأزلي لا ينقص من قوة الله. بل على العكس هو خير دليل على وجود الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة

من خلال ما سبق يمكن استخلاص النتائج التالية:

1- إنَّ مصطلح المونادات لم يظهر إلا على يد مفكر عصر النهضة جيوردانوبرونو الذي كان أول من استخدم هذا اللفظ بالمعنى الذي قصده ليبنتز من بعده.

2- إنَّ ليبنتز يختلف عن أصحاب المذهب الذري القديم أمثال ديمقريطس وأتباعه الذين نادوا بمذهب الكثرة المادي، أي أنَّ الوجود مليء بالجواهر أو الذرات المادية، في حين

اتجه ليبنتز اتجاهًا مخالفًا إذ أنَّه يقول بالتعددية وأنَّ الوجود مكوَّن من مونادات لا متناهية في العدد ، وإنْ كانت تنقسم أساسًا إلى طوائف ثلاث، ويقوم على قمَّتها الله كخالق وكموناد أعظم مسيطر عليها، أي يعد ليبنتز من أتباع مذهب الكثرة الروحي.

3- إنَّ المونادات لا تتفاعل فيما بينها، ولا مع العالم الخارجي، ولا تؤثر في بعضها البعض، لأنَّها مغلقة على نفسها، وتنظر إلى العالم من وجهة نظر خاصة لكل منها، فهي تنمو وتتطور بمفردها، فهي مصدر حيويتها ونشاطها، وما يجعلها مختلفة عن بعضها البعض في درجة إدراكها، فبعضها له إدراكات واضحة ويقينية وقوية، والبعض الآخر أقل إدراكًا ووضوحاً وتميزاً عن غيرها.

4- مونادات ليبنتز تؤلف مرايا أو تعبير عن الكون الواحد، ولكن الفارق بينها هو في تفاوت ووضوح التعبير، ولكن من الضروري التسليم بوجود كثرة لا متناهية من المونادات الروحية.

5- إنَّ الوجود عند ليبنتز هو مجموعة من الأجسام الكثيرة والمتنوِّعة، وكل منها يتكوَّن من جواهر بسيطة هي المونادات التي تنسجم وتتناسق بسبب قانون التناسق العام الصادر عن الموناد الأعظم، أو موناد المونادات (الله).

هوامش البحث ومراجعه:

1- على عبد المعطى محمد(1991)، الفلسفة العامة ومشكلاتها ،الإسكندرية دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر. ص**113**

2- ليبنتز(1978) الموناد ولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، تر: عبد الغفار مكاوي، د.ط ،القاهرة : دار الثقافة لطباعة والنشر، ص**16**.

3- وليم كلى رايت (2001)، تاريخ الفلسفه الحديثة، تر: محمود سيد أحمد، د.ط، (المجلس الأعلى للثقافة والنشر، ص**126**.

4- على عبد المعطى محمد، الفلسفة العامة ومشكلاتها، مرجع سابق، ص**116**.

5- المرجع نفسه ص**129**.

6- جميل صليبا(1982)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص**451**.

7- مراد وهبه (1998)، المعجم الفلسفي، ط 1 ،القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ص**682**.

8- ليبنتز، المونادولوجيا، عبد الغفار مكاوي، مصدر سابق ص**125**.

9- حربى عباس عطيتو(2003)، مدخل إلى الفلسفة ومشكلاتها، دار النهضة، بيروت، لبنان، ص**232**.

10- على عبد المعطى محمد، الفلسفة العامة ومشكلاتها، مرجع سابق، ص**119**.

11- ليبنتز (1956)، المونادولوجيا أو المبادئ العقلية للطبيعة والنعمة، تر: ألبير نصرى نادر، د. ط (بيروت: لبنان، اللجنة الدولية للروائع الإنسانية، ص**28**.

12- على عبد المعطى محمد(2001)، الفلسفة الحديثة من القرن 17 حتى القرن20، د.ط (الإسكندرية: منشأة المعارف جلال حزي وشركاه، دار الكتب والوثائق للطباعة والنشر، ص**17**.

13- ليبنتز، المونادولوجيا، تر: ألبير نصري نادر، مصدر سابق، ص**28**- **29**.

14- جورج طعمه، فلسفه ليبنتز، مرجع سابق، ص **62**.

15- ليبنتز، المونادولوجيا، عبد الغفار مكاوي، مصدر سابق، ص **156**.

16- وليم كليرايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص **130**.

17- كريم متى(1988)، الفلسفة الحديثة، ط **2** (بنغازي: ليبيا، منشورات جامعة قاريونس، ص **132**.

18- ليبنتز، المونادولوجيا، البير نصرى نادر، مصدر سابق، ص**31**.

19- كريم متّي الفلسفة الحديثة، مرجع سابق. ص**235**.

20- على عبد المعطى محمد(2000)، رواد الفلسفة الحديثة (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص**16**.

21- ليبنتز المونادولوجيا، عبد الغفار مكاوه، مصدر سابق، ص **136**.

22- ماهر عبد القادر محمد (1990)، دراسات في الفلسفة الحديثة، بيروت: لبنان: مكتبة كريديه أخوان، ص **139**.

23- على عبد المعطي محمد، الفلسفة العامة ومشكلاتها، مرجع سابق، ص**122**.

24- إبراهيم مصطفى إبراهيم(2000)، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، د.ط (الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، ص**227**.

25- علي عبد المعطى محمد، رواد الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص **19**.

26- جورج طعمة، فلسفة ليبنتز، مرجع سابق، ص**59**.

27- على عبد المعطى محمد، الفلسفة الحديثة من القرن 17 حتى القرن 20، مرجع سابق، ص **103**.

28- محمد ياسين عريبي(1991)، مواقف ومقاصد في الفكر الفلسفي الإسلامي، ليبيا: دار الكتب الوطنية، ص **86**.

29- أحمد مصطفي الحار(2002)، دراسات في مذاهب علم التفسير الحديث، ط1، ليبيا: بنغازي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ص**120**.

30-المرجع نفسه ص**123**.

31- سامية عبد الرحمن(1993)، الميتافيزيقا بين الرفض والتأييد، ط**1** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص **130**.

32- محمد حمدي زقزوق(1993)، دراسات في الفلسفة الحديثة، ط**3** ، (القاهرة: دار الفكر العربي، ص **138**- **139**.

33- كريم متّى، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص137.

34- ليبنتز(1983)، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تر: فواد كامل، القاهرة دار الثقافة والنشر والتوزيع، ص**25**.

35- ليبنتز، المونادولوجيا، عبد الغفار مكاوي، مصدر سابق، ص **165**.